

# خارج الفقہ

۱۶-۹-۲۰۲۴ فقه اکبر ۳

۳۶

(مکتب و نظام سیاسی اسلام)

دراسات الاستاذ:

مهدي الهادي الطهراني

# مكتب و نظام سياسى اسلام

اهداف  
مكتب  
سياسى  
اسلام

نظام  
سياسى  
اسلام

مباني  
مكتب  
سياسى  
اسلام

اهداف مكتب  
سياسى اسلام

مباني مكتب  
سياسى اسلام

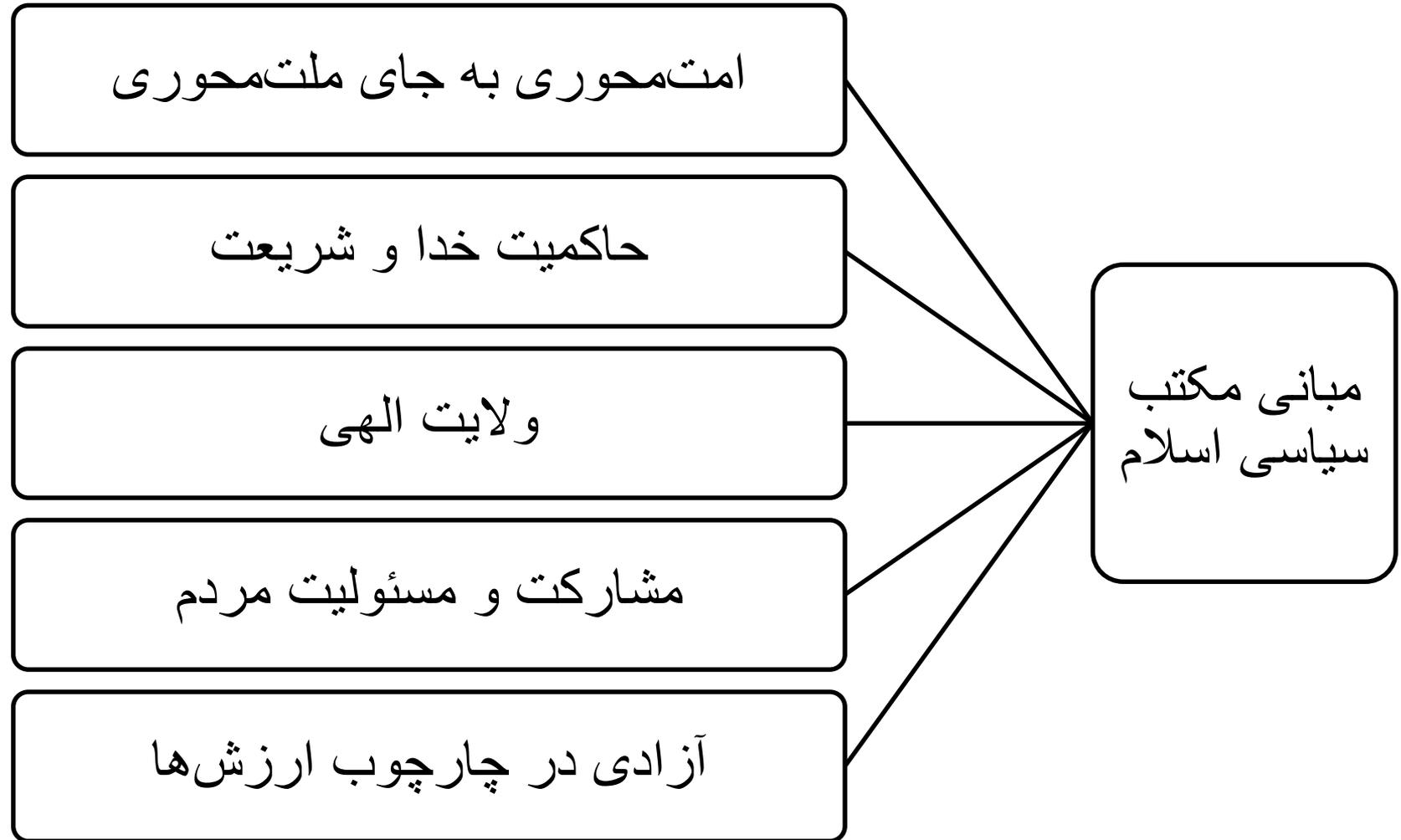
تحقق خارجى

مبانی مکتب  
سیاسی اسلام

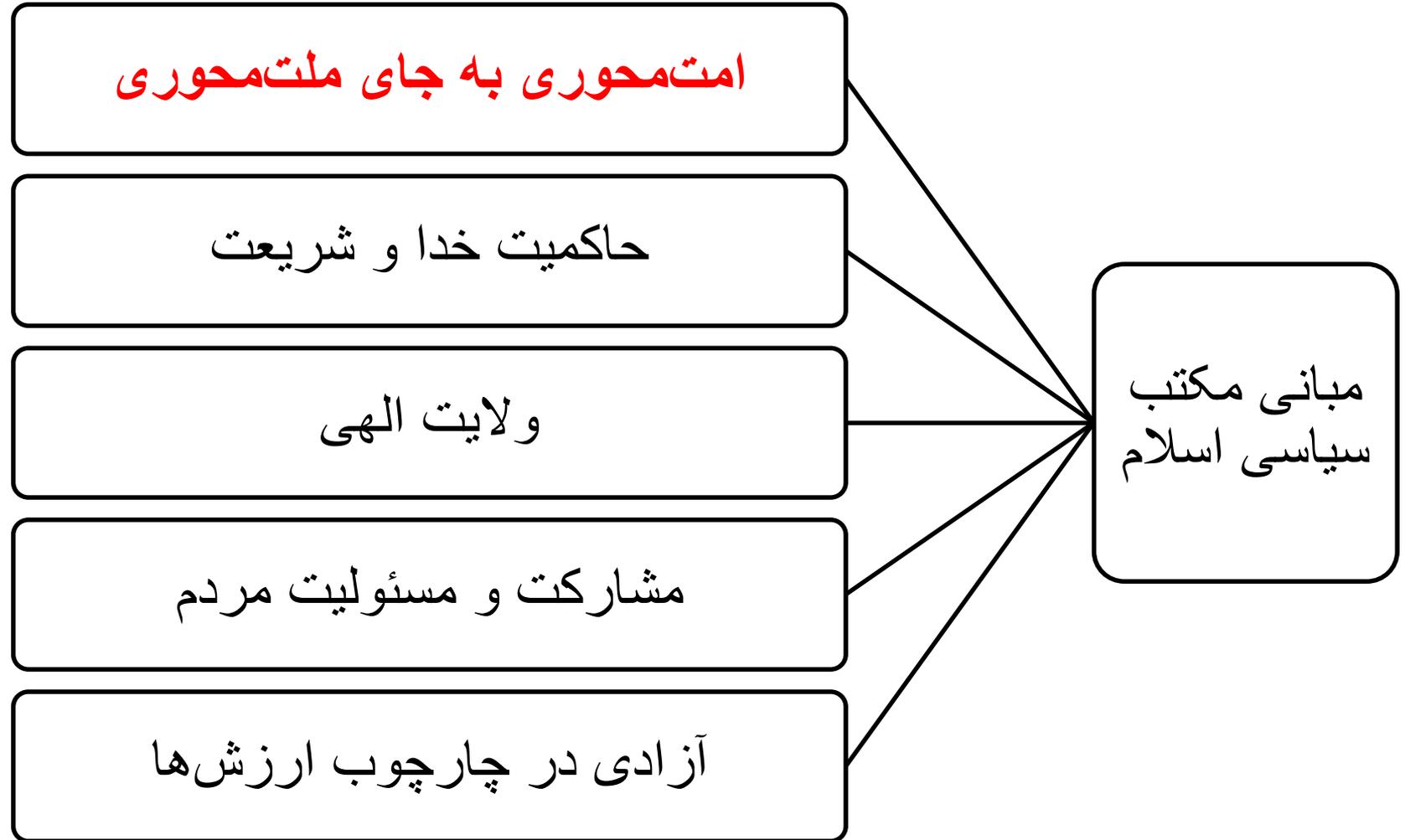
اهداف مکتب  
سیاسی اسلام

تحقیق علمی

# مبانی مکتب سیاسی اسلام



# مبانی مکتب سیاسی اسلام



## مبانی مکتب سیاسی اسلام

- امت محوری به جای ملت محوری صرف: جامعه آرمانی اسلام، امت واحد است که بر اساس عقیده و ارزش‌های مشترک شکل می‌گیرد، نه صرفاً بر اساس مرزهای جغرافیایی یا قومیت.

وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
 عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ  
 مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ  
 يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ  
 كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ  
 اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ

# وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

• المعنى:

• اخبر الله تعالى أنه جعل أمة نبيه محمد (ص) وسطاً: أى سماها بذلك و حكم لها به. و **الوسط: العدل**. و قيل الخيار، و معناهما واحد:

• و قيل: انه مأخوذ من المكان الذى تعدل المسافة منه الى أطرافه. و قيل: بل أخذ الوسط من التوسط بين المقصر و المغالى، فالحق معه «١». و قال مؤرج: اى وسط بين الناس و بين أنبيائهم

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

و قال زهير:

- هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
- إذا نزلت
- احدى الليالى بمعظم «٢»
- و روى عن النبى (ص) انه قال: أمة **وسطاً**: عدلاً.
- و هو قول مجاهد، و قتادة، و الربيع، و ابن عباس، و اكثر المفسرين. و قال صاحب العين: الوسط من الناس و غيرهم، و من كل شىء أعدل، و أفضله

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و قيل الواسط و الوسط بمعنى واحد، كما قيل يابس و  
يبس بمعنى واحد. قال تعالى «فِي الْبَحْرِ يَبَسًا» «٣» و  
الوسط - بتسكين السين - الموضع. و الوسط -  
بالتحريك - لما بين طرفي كل شيء، و يسمى واسط  
الرحل بين القادمة و الاخرة، و كذلك واسطة القلادة. و  
اصل الباب الوسط: العدل.

• و قولهم فلان من أوسطهم نسباً: اي تكلله الشرف من  
نواحيه.

# وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

• فان قيل: باى شىء يشهدون على الناس، قلنا فيه ثلاثة اقوال: **أحدها** - ليشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا و في الآخرة كما قال: «وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ» «٢» و قال «يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» «٣» قال ابن زيد: الأشهاد أربعة الملائكة، و الأنبياء، و أمه محمد (ص) و الجوارح. كما قال: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ السُّنَنُومُ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «٤».

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- الثاني - يشهدون الأنبياء على أممهم المكذبين بأنهم بلّغوا. و جاز ذلك لاعلام النبي (ص) إياهم بذلك.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• الثالث - «لتكونوا شهداء على الناس» أى حجة عليهم فيما يشهدون، كما أن النبي (ص) شهيد بمعنى حجة فى كلما اخبر به. و النبي (ص) وحده كذلك. فأما الامة فجماعتها حجة دون كل واحد منها.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و استدل البلخي، و الجبائي، و الرماني، و ابن الأخشاد،  
و كثير من الفقهاء، و غيرهم بهذه الآية على أن الإجماع  
حجة من حيث أن الله وصفهم بأنهم عدول، فإذا عدلهم  
الله تعالى، لم يجوز أن تكون شهادتهم مردودة -

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و قد بينا في اصول الفقه أنه لا دلالة فيها على ان الإجماع حجة - و جملته ان الله تعالى وصفهم بأنهم عدول، و بأنهم شهداء و ذلك يقتضى ان يكون كل واحد عدلاً، و شاهداً، لأن شهداء جمع شهيد، و قد علمنا أن كل واحد من هذه الامة ليس بهذه الصفة، فلم يجز أن يكون المراد ما قالوه، علي أن الأمة إن أريد بها جميع الامة، فقد بينا ان فيها كثيراً ممن يحكم بفسقه بل بكفره، فلا يجوز حملها على الجميع.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- (١) سورة الملك: آية ٢٠.
- (٢) سورة الزمر: آية ٦٩. [.....]
- (٣) سورة المؤمن: آية ٥١.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و ان خصوها بالمؤمنين العدول، لنا أن نخصها بجماعة،  
كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم: وهم  
الأئمة المعصومون من آل الرسول (ص) على أنا لو  
سلمنا ما قالوه من كونهم عدولا، ينبغي أن نجنبهم ما  
يقدر في عدالتهم و هي الكبائر، فأما الصغائر التي تقع  
مكفرة، فلا تقدر في العدالة، فلا ينبغي أن نمنع منها،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و متى جوزنا عليهم الصغائر لم يمكننا أن نحتج  
بإجماعهم، لأنه لا شيء أجمعوا عليه إلا و يجوز أن  
يكون صغيراً فلا يقدح في عدالتهم، و لا يجب الاقتداء  
بهم فيه لكونه قبيحاً. و في ذلك بطلان الاحتجاج  
بإجماعهم. و كيف يجنبون الصغائر، و حال شهادتهم  
ليس بأعظم من شهادة النبي (ص) و مع هذا يجوزون  
عليه الصغائر فهلا جاز مثل ذلك عليهم، و لا تقدح في  
عدالتهم - كما لم تقدح في عدالة النبي (ص)؟

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨

و كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• قوله سبحانه - وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْإِجْمَاعِ وَالْأُمَّةِ مَجْمَعَةً عَلَى أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى تَبُوكَ وَ لَمْ يَثْبُتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَزْلُهُ وَ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ خَلِيفَتَانِ أَحَدُهُمَا فِي الْمَدِينَةِ وَ الْآخَرُ فِي بَقِيَّةِ الْأُمَّةِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِمَامُ بَعْدَهُ لِثُبُوتِ وِلَايَتِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ إِلَى بَعْدِ وَفَاتِهِ وَ حُصُولِ الْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا خَلِيفَةٌ وَاحِدَةٌ

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• قوله: «وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا». قيل في معناه قولان:

• أحدهما - عليكم شهيداً بما يكون من أعمالكم. و قيل: يكون حجة عليكم.

• والثاني - يكون لكم شهيداً بأنكم قد صدقتم - يوم القيامة - فيما تشهدون به.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، الظاهر أن المراد كما سنحول القبلة لكم لنهديكم إلى صراط مستقيم كذلك جعلناكم أمةً وسطاً، وقيل إن المعنى و مثل هذا الجعل العجيب جعلناكم أمةً وسطاً (و هو كما ترى)،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و أما المراد بكونهم أمةً وسطاً شهداء على الناس فالوسط هو المتخلل بين الطرفين لا إلى هذا الطرف و لا إلى ذاك الطرف، و هذه الأمة بالنسبة إلى الناس - و هم أهل الكتاب و المشركون - على هذا الوصف

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• فَإِنْ بَعْضُهُمْ - وَ هُمْ الْمُشْرِكُونَ وَ الْوَثْنِيُّونَ - إِلَى تَقْوِيَةِ  
جَانِبِ الْجِسْمِ مُحْضًا لَا يَرِيدُونَ إِلَّا الْحَيَاءَ الدُّنْيَا وَ  
الْاِسْتِكْمَالَ بِمَلَازِمِهَا وَ زَخَارِفِهَا وَ زِينَتِهَا، لَا يَرْجُونَ بَعَثًا  
وَ لَا نَشُورًا، وَ لَا يَعْثُونَ بِشَيْءٍ مِنْ الْفَضَائِلِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَ  
الرُّوْحِيَّةِ، وَ بَعْضُهُمْ كَالنَّصَارَى إِلَى تَقْوِيَةِ جَانِبِ الرُّوْحِ لَا  
يَدْعُونَ إِلَّا إِلَى الرَّهْبَانِيَّةِ وَ رَفْضِ الْكِمَالَاتِ الْجِسْمِيَّةِ  
الَّتِي أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي مَظَاهِرِ هَذِهِ النِّشْأَةِ الْمَادِيَّةِ  
لِتَكُونَ ذُرِيَّةً كَامِلَةً إِلَى نَيْلِ مَا خَلَقَ لِأَجْلِهِ الْإِنْسَانَ،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• فهوؤلاء أصحاب الروح أبطلوا النتيجة بإبطال سببها و أولئك أصحاب الجسم أبطلوا النتيجة بالوقوف على سببها و الجمود عليها، لكن الله سبحانه جعل هذه الأمة وسطا بأن جعل لهم ديناً يهدى متحليه إلى سواء الطريق وسط الطرفين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء بل يقوى كلا من الجانبين - جانب الجسم و جانب الروح - على ما يليق به و يندب إلى جمع الفضيلتين

و كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَجْمُوعَ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ لَا رُوحَ مَحْضًا وَ لَا جِسْمَ مَحْضًا، وَ مَحْتَاجٌ فِي حَيَاتِهِ السَّعِيدَةِ إِلَى جَمْعِ كِلَا الْكَمَالَيْنِ وَ السَّعَادَتَيْنِ الْمَادِيَةِ وَ الْمَعْنَوِيَّةِ،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• فهذه الأمة هي الوسط العدل الذي به يقاس و يوزن كل من طرفي الإفراط و التفريط فهي الشهيدة على سائر الناس الواقعة في الأطراف و النبي ص و هو المثال الأكمل من هذه الأمة - هو شهيد على نفس الأمة فهو ص ميزان يوزن به حال الآحاد من الأمة، و الأمة ميزان يوزن به حال الناس و مرجع يرجع إليه طرفا الإفراط و التفريط،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- هذا ما قرره بعض المفسرين في معنى الآية، وهو في نفسه معنى صحيح لا يخلو عن دقة إلا أنه غير منطبق على لفظ الآية

# وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

• (أو) من سنن الملة المستقيمة المائلة عن حد الإفراط و التفریط إلى الوسط، لقوله تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا (١) فَإِنَّ الْيَهُودَ إِلَى التَّفْرِيطِ مَا هُوَ فِي مَتَابَعَةِ مُوسَى عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي إِطَاعَتِهِ وَإِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَلِهَذَا شَدَّدَ عَلَيْهِمُ بِالْتَكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، وَالنَّصَارَى إِلَى الْإِفْرَاطِ وَغَلَوْهُمْ فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَرَكَ النِّكَاحَ وَالرَّهْبَانِيَّةَ، وَالعَفْوَ بَدُونَ الْقَصَاصِ، بِخِلَافِ أُمَّةِ نَبِينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، فَإِنَّ أُمُورَهُمْ وَتَكَالِيفَهُمْ عَلَى الْوَسْطِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• فَإِنْ كَوَّنَ الْأُمَّةَ وَسَطًا إِنَّمَا يَصْحَحُ كَوْنُهَا مَرْجَعًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ  
الطَّرْفَانِ، وَمِيزَانًا يوزن به الْجَانِبَانِ لَا كَوْنَهَا شَاهِدَةً تَشْهَدُ  
عَلَى الطَّرْفَيْنِ، أَوْ يَشَاهِدُ الطَّرْفَيْنِ، فَلَا تَنَاسُبُ بَيْنَ الْوَسْطِيَّةِ  
بِذَاكَ الْمَعْنَى وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ ظَاهِرٌ، عَلَيَّ أَنَّهُ لَا وَجْهَ حِينَئِذٍ  
لِلتَّعَرُّضِ بِكَوْنِ رَسُولِ اللَّهِ شَهِيدًا عَلَيَّ الْأُمَّةِ إِذْ لَا يَتَرْتَبُ  
شَهَادَةُ الرَّسُولِ عَلَيَّ الْأُمَّةِ عَلَيَّ جَعَلَ الْأُمَّةَ وَسَطًا، كَمَا يَتَرْتَبُ  
الْغَايَةُ عَلَيَّ الْمَغْيَا وَ الْغَرَضُ عَلَيَّ ذِيهِ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• على أن هذه الشهادة المذكورة في الآية، حقيقة من الحقائق القرآنية تكرر ذكرها في كلامه سبحانه، و اللائح من موارد ذكرها معني غير هذا المعني، قال تعالى «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلِيٍّ هُوَ لَأَمْ شَهِيدًا»: النساء - ٤١، و قال تعالى «وَيَوْمَ نَبِئْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»: النحل - ٨٤ «و قال تعالى وَوَضِعَ الْكِتَابِ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ»: الزمر - ٦٩،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- والشهادة فيها مطلقة، و ظاهر الجميع على إطلاقها هو الشهادة على أعمال الأمم، و على تبليغ الرسل أيضا، كما يومئ إليه قوله تعالى «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ»: الأعراف - ٤،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و هذه الشهادة و إن كانت في الآخرة يوم القيامة لكن تحملها في الدنيا على ما يعطيه قوله تعالى - حكاية عن عيسى ع - «و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شيء شهيد»: المائدة - ١١٧ و قوله تعالى «و يوم القيامة يكون عليهم شهيداً»: النساء - ١٥٩،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و من الواضح أن هذه الحواس العادية التي فينا، و القوى المتعلقة بها منا لا تتحمل إلا صور الأفعال و الأعمال فقط، و ذلك التحمل أيضا إنما يكون في شيء يكون موجودا حاضرا عند الحس لا معدوما و لا غائبا عنه

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و أما حقائق الأعمال وَ المعانى النفسانية من الكفر و الإيمان و الفوز و الخسران، و بالجملة كل خفى عن الحس و مستبطن عند الإنسان - و هى التى تكسب القلوب، و عليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى «وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ»: البقرة - ٢٢٥ فهى مما ليس فى وسع الإنسان إحصاؤها و الإحاطة بها و تشخيصها من الحاضرين فضلا عن الغائبين إلا رجل يتولى الله أمره و يكشف ذلك له بيده،

و كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و يمكن أن يستفاد ذلك من قوله تعالى «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ»: الزخرف - ٨٦، فَإِنْ عَيْسَىٰ دَاخِلٌ فِي الْمُسْتَثْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَطْعًا - وَ قَدْ شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ بِأَنَّهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ - كَمَا مَرَّ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، فَهُوَ شَهِيدٌ بِالْحَقِّ وَ عَالِمٌ بِالْحَقِيقَةِ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- والحاصل أن هذه الشهادة ليست هي كون الأمة على دين جامع للكمال الجسماني و الروحاني فإن ذلك على أنه ليس معنى الشهادة خلاف ظاهر الآيات الشريفة.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- بل هي تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة أو شقاء و رد و قبول، و انقياد و تمرد، و أداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله من كل شيء، حتى من أعضاء الإنسان، يوم يقول الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و من المعلوم أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة، إذ ليست إلا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، و أما من دونهم من المتوسطين في السعادة، و العدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك، فضلا عن الأجلاف الجافية، و الفراعنة الطاغية من الأمة، و ستعرف في قوله تعالى «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»:

النساء - ٦٩

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- إن أقل ما يتصف به الشهداء - وهم شهداء الأعمال - أنهم تحت ولاية الله و نعمته و أصحاب الصراط المستقيم، و قد مر إجمالاً في قوله تعالى «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ»: فاتحة الكتاب - ٧.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- فالمراد بكون الأمة شهيدة أن هذه الشهادة فيهم، كما أن المراد بكون بني إسرائيل فضلوا على العالمين، أن هذه الفضيلة فيهم من غير أن يتصف به كل واحد منهم، بل نسب وصف البعض إلى الكل لكون البعض فيه و منه، فكون الأمة شهيدة هو أن فيهم من يشهد على الناس و يشهد الرسول عليهم.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- ١ / ٥٠٢. الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي، قال:
- سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» «٥».
- فَقَالَ «٦»: «نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ» «٧»  
عَلَى خَلْقِهِ، وَحُجَّجَهُ فِي أَرْضِهِ».

وَكذلكَ جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَداءَ

عَلَى النَّاسِ

- ٣٠٥ / ٤. عَلِيٌّ بْنُ إِبراهِيمَ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَميرٍ، عَنِ ابْنِ أُذينَةَ، عَنِ بريدِ العَجَلِيِّ، قال: **قُلْتُ لَأبي جعفر عليه السلام: قولُ اللهِ تباركُ و تَعالي: «وَكذلكَ جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَیکُمْ شَهِيداً» «١»؟**
- قال: **«نَحْنُ الأُمَّةُ الوَسَطُ» «٢»، وَ نَحْنُ شُهَداءُ اللهُ - تباركُ وَ تَعالي - عَلَى خَلقِهِ، وَ حَجَجَهُ فِي أَرْضِهِ».**

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• قوله سبحانه - وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا حَكَمَ هَذِهِ الْآيَةَ مِثْلَ الْأَوْلَادِ عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ ع عَلَى مَا شَرَحْتَهُ فِي مَنَاقِبِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ إِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَقْتَضِي وَصْفَ الْأُمَّةِ بِالْعَدَالَةِ وَالشَّهَادَةِ أَيْضًا وَ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ عَدْلًا وَ شَاهِدًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَ هَذَا مُسْتَبْعَدٌ عَلَى أَنَّا لَوْ سَلَمْنَا مَا قَالُوهُ مِنْ كَوْنِهِمْ عَدُوًّا فَمَنْ أَيْنَ صَحَّ أَنَّهُمْ تَجَنَّبُوا مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- فَإِنْ قُلْتُمْ: قَوْلُهُ تَعَالَى «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ»: الْحَدِيدُ - ١٩، يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءَ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- قلت: قوله عند ربهم، يدل على أنه تعالى سيلحقهم بالشهداء يوم القيامة، و لم ينالوه في الدنيا، نظير ذلك قوله تعالى «و الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»: الطور - ٢١، على أن الآية مطلقه تدل على كون جميع المؤمنين من جميع الأمم شهداء عند الله من غير اختصاص بهذه الأمة فلا ينفع المستدل شيئاً.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- فَإِنْ قُلْتُمْ: جَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةً وَسَطًا بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يَسْتَتَبِعُ كُونَهُمْ أَوْ كُونَ بَعْضُهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى الْأَعْمَالِ وَ لَا كُونَ الرَّسُولَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ فَالْإِشْكَالُ وَارِدٌ عَلَى هَذَا التَّقْرِيبِ كَمَا كَانَ وَارِدًا عَلَى التَّقْرِيبِ السَّابِقِ.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- قلت: معنى الشهادة غاية متفرعة في الآية على جعل الأمة وسطا فلا محالة تكون الوسطية معنى يستتبع الشهادة و الشهداء،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و قد قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا جَعَلَ لِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ»: الحج - ٧٨،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• جعل تعالى كون الرسول شهيدا عليهم و كونهم شهداء على الناس غاية متفرعة على الاجتباء و نفي الحرج عنهم فى الدين ثم عرف الدين بأنه هو الملة التى كانت لأبيكم إبراهيم الذى هو سماكم المسلمين من قبل، و ذلك حين دعا لكم ربه و قال: «وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ» فاستجاب الله دعوته و جعلكم مسلمين، تسلمون له الحكم و الأمر من غير عصيان و استنكاف،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

• و لذلك ارتفع الحرج عنكم في الدين، فلا يشق عليكم شيء منه و لا يحرج، فأنتم المجتوبون المهديون إلى الصراط، المسلمون لربهم الحكيم و الأمر، و قد جعلناكم كذلك ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس، أي تتوسطوا بين الرسول و بين الناس فتصلوا من جهة إليهم،

# وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

• و عند ذلك يتحقق مصداق دعائه ع فيكم و في الرسول حيث قال «ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكّهم»: البقرة - ١٢٩، فتكونون أمة مسلمة أودع الرسول في قلوبكم علم الكتاب و الحكمة، و مزكين بتزكيته، و التزكية التطهير من قدرات القلوب، و تخليصها للعبودية، و هو معنى الإسلام كما مر بيانه، فتكونون مسلمين خالصين في عبوديتكم، و للرسول في ذلك القدم الأول و الهداية و التربية،

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

- فله التقدم على الجميع، و لكم التوسط باللحوق به، و الناس في جانب، و في أول الآية و آخرها قرائن تدل على المعنى الذي استفدناه منها غير خفية على المتدبر فيها سنبينها في محله إن شاء الله.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• فقد تبين بما قدمناه:

- أولاً، أن كون الأمة وسطا مستتبع للغايتين جميعا، و أن قوله تعالى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَ يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا آيَةً جميعا لازم كونهم وسطا.
- و ثانيا: أن كون الأمة وسطا إنما هو بتخللها بين الرسول و بين الناس، لا بتخللها بين طرفى الإفراط و التفريط، و جانبى تقوية الروح و تقوية الجسم فى الناس.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ

- و ثالثاً: أن الآية بحسب المعنى مرتبطة بآيات دعوة إبراهيم ع و أن الشهادة من شئون الأمة المسلمة.
- و اعلم: أن الشهادة على الأعمال على ما يفيد كلامه تعالى لا يختص بالشهداء من الناس، بل كل ما له تعلق ما بالعمل كالملائكة و الزمان و المكان و الدين و الكتاب و الجوارح و الحواس و القلب فله فيه شهادة.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ

• و يستفاد منها أن الذى يحضر منها يوم القيامة هو الذى فى هذه النشأة الدنيوية و أن لها نحواً من الحياة الشاعرة بها، تتحمل بها خصوصيات الأعمال، و ترتسم هى فيها، و ليس من اللازم أن تكون الحياة التى فى كل شىء، سنخاً واحداً كحياة جنس الحيوان، ذات خواص و آثار كخواصها و آثارها، حتى تدفعه الضرورة فلا دليل على انحصار أنحاء الحياة فى نحو واحد، هذا إجمال القول فى هذا المقام و أما تفصيل القول فى كل واحد واحد منها فموكول إلى محله

على اللائق به.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١، ص: ٣٢٣